

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

إن مفتاح الوعي بحقيقة أى قضية من القضايا أو مشكلة من المشكلات إنما يبدأ بتحديد «طبيعة القضية أو المشكلة» . .

ولقد كتب الكثيرون - ولا تزال تتوالى الكتابات- عن الفتنة الطائفية فى مصر . . لكن أكثر هذه الكتابات قد سلط كل الأضواء على الجانب الدينى للقضية، فقدمت المسألة باعتبارها قائمة بين المسيحية والإسلام، بين المسيحيين والمسلمين . . وقائمة حول بناء الكنائس . . وتولّى بعض الوظائف . . إلخ . . إلخ . .

وميزة هذا الكتاب -الذى نقدم لطبعته الجديدة- أنه يختلف اختلافاً جذرياً مع هذه النظرة لطبيعة «الفتنة الطائفية» فى مصر . . ذلك أن مصر -وعبر تاريخها الإسلامى- يعيش فيها كل ألوان الطيف المسيحى - الأقباط الأرثوذكس- وهم أغلبية المسيحيين المصريين . . والكاثوليك . . والإنجيليون . . والأسقفيون . . والموارنة . . والأرمن الكاثوليك . . والأرمن الأرثوذكس . . والروم الكاثوليك . . وغيرهم من الطوائف المسيحية . . فلماذا تتركز الفتنة ويتركز التوتر -وأحياناً العنف- فى الإطار الأرثوذكسى، دون بقية المسيحيين المصريين؟! . .

ثم.. إن هذه الفتنة لم تكن موجودة -حتى في الإطار الأرثوذكسى- قبل مجيء البابا شنودة بطركا للكنيسة الأرثوذكسية في ١٤ نوفمبر سنة ١٩٧١م.. فهي -هذه الفتنة- ليست بنت الأرثوذكسية، ولا هي لصيقة بها.. وإلا لكانت قائمة -تاريخياً- طوال تاريخ الأرثوذكسية مع الإسلام والمسلمين!

● لقد بدأت أحداث التوتر الطائفي والفتنة الطائفية بأحداث الخانكة سنة ١٩٧٢م- عندما كانت «روح الدولة» في الخلقوم.. تعدد لحرب أكتوبر، كى تسترد الأرض المحتلة، وتخرج الأمة من الهوان.. وكانت الحركة الإسلامية -يومها- رهينة السجون والمعتقلات.

ومنذ ذلك التاريخ تغير -في مصر- الرؤساء.. وتغيرت الحكومات.. وتبدلت السياسات -مع بقاء الفتنة الطائفية، بل وتصاعدها.. لا لأنها مشكلة دينية -فبقية الطوائف المسيحية غير منخرطة فيها.. ولا لأنها مشكلة أرثوذكسية، فلم تكن قائمة لدى الأرثوذكس قبل مجيء البابا شنودة.. الأمر الذى يفتح الباب للتساؤل عن الطبيعة الحقيقية لهذه المشكلة.. وهو التساؤل الذى ربما تفرد بالإجابة عليه هذا الكتاب..

إن المخطط الإمبريالى الصليبي الصهيونى لتفتيت العالم الإسلامى - لقطع الطريق على البعث الجديد للحضارة الإسلامية.. ولتحقيق الأمن للكيان الصهيونى.. ولاستدامة النهب الاستعمارى لثروات العالم الإسلامى-.. إن هذا المخطط -المكتوب.. والمعلن^(١)- قد بدأ وضعه

(١) انظر وثائق هذا المخطط بكتابنا [الغرب والإسلام.. تاريخ من الغزو والتزيف وغواية الأقليات] ص ١٣٣-١٤٣ طبعة مكتبة وهبة -القاهرة سنة ٢٠١١م.

فى التطبيق- فى المرحلة التى أعقبت الحرب العالمية الثانية، وصعود النجم الأمريكى -بإقامة الكيان الصهيونى على أرض فلسطين -سنة ١٩٤٨م .

● وسيجد القارئ لهذا الكتاب أن مشروعاً أرثوذكسياً قبطياً قد بدأ النسخ لخيوطه فى ذات التاريخ - سنة ١٩٤٨م . . وهو ليس مشروع أقلية دينية، لها مطالب دينية . . وإنما هو «مشروع قومى . . عنصري» يتحدث عن لغة خاصة ومختلفة . . وعن شعب مختلف -غير عربى- وعن أرض سليبة منذ أربعة عشر قرناً . . وعن ثقافة مختلفة -وقومية مختلفة . . وهو يتطلع إلى تغيير الهوية والخريطة- بالعودة إلى ما قبل أربعة عشر قرناً- مثلما أحدثت الصهيونية على أرض فلسطين!! . .

● وسيجد القارئ لهذا الكتاب، المتميز، كيف تبلورت خيوط هذا المشروع القومى العنصرى فى تنظيم [جماعة الأمة القبطية] سنة ١٩٥٢م . . وكيف حاولت هذه الجماعة إرغام الكنيسة على تبنى مشروعها القومى العنصرى سنة ١٩٥٤م . . فلما رفضت قيادة الكنيسة . . وحدث الصدام بين «الأرثوذكسية- القومية» وبين «الأرثوذكسية- اللاهوتية» . . وحُلَّت جماعة الأمة القبطية -فى إبريل سنة ١٩٥٤م- . . تسلل المنظرون لهذا المشروع القومى العنصرى إلى الدير -تحت عباءة الرهبنة- فى يوليو سنة ١٩٥٤م -ليستولوا على الكنيسة بالانتخاب- فى ١٤ نوفمبر سنة ١٩٧١م -بعد أن فشلوا فى الاستيلاء عليها- بالانقلاب -فى إبريل سنة ١٩٥٤م . . وليبدأ منذ

هذا التاريخ استئناف السعى لإحياء اللغة البديلة.. لغة الشعب القبطى.. شعب الكنيسة.. الشعب المسيحى.. ولتبدأ وتتواصل أحداث التوتر الطائفى والعنف والفتنة، التى أخافت الأرثوذكس، -دون غيرهم- فانسحبوا -دون غيرهم- إلى داخل «دولة الكنيسة»، التى أخذت فى التمرد على الدولة المصرية وعلى القوانين الحاكمة لكل المصريين -مستعينة فى ذلك بأقباط المهجر، الذين ينسقون العمل مع اللوبى الصهيونى واليمين الدينى فى أمريكا!..

● سيجد القارئ لهذا الكتاب «جلاء الطبيعة الحقيقية لهذا المشروع».. وعلاقاته بالمخطط الإمبريالى الصهيونى لقطع الطريق على مشروع النهضة الإسلامية.. حتى لقد قال أحد رموز هذا المشروع العنصرى -سنة ١٩٤٧-: «إن دار الإسلام هى الحجاز فقط لا غير»!..

● كما سيجد القارئ لهذا الكتاب: التمييز العادل بين عقلاء الأرثوذكس، الذين رأوا فى هذا «الحلم المجنون» كارثة تهدد وجودهم ومستقبلهم.. وبين أركان هذا «الحلم المجنون»، الذين أغرتهم نجاحات المشروع الصهيونى، فحلّموا بالسير على دربه، واستنسخه -فى مصر- كناية الله-!..

● تلك هى الميزة الأبرز لهذا الكتاب، عن أغلب -وربما عن كل- الكتابات التى كتبت عن الفتنة الطائفية فى مصر..

لذلك، كانت هذه الطبعة الجديدة لهذا الكتاب.. التى تأتى فى أعقاب ثورة ٢٥ يناير سنة ٢٠١١م.. تلك التى شهدت متغيراً هاماً فى

موضوعنا، هو تمرد قطاعات من شباب الأرثوذكس على «دولة الكنيسة» -
التي وقعت مع نظام حسنى مبارك.. وأرسلت قساوستها يهتفون له فى ميدان
مصطفى محمود.. وأعلن محامى رأس الكنيسة -نجيب جبرائيل- أنه
«سيسير مظاهره مليونية تأييداً لحسنى مبارك ضد الثورة -التي انخرط فيها
عشرات الملايين من المصريين على نحو غير مسبوق فى تاريخ الثورات -
لإزالة نظام العار الذى جثم على صدر مصر ثلاثين عاماً..

لقد تمرد قطاع من شباب الأرثوذكس على «دولة الكنيسة».. وانخرطوا
فى ثورة يناير.. وانتزعوا ذواتهم الوطنية، عائدین إلى شعبهم المصرى، بعد
أن سجنوا فى دولة الكنيسة لأربعة عقود!..



تصدر هذه الطبعة الجديدة لهذا الكتاب.. فى هذه الظروف
الجديدة.. التى تتطلع فيها مصر إلى قيادة الشرق لبناء نهضة
حضارية جديدة..

كما تضم هذه الطبعة الجديدة المزيد والمزيد من الحقائق.. ومن
النصوص.. التى تركى نهج العقلاء.. والتى تفند وتدين نهج الدهماء
والعملاء.. وذلك حتى تعود كنانة الله فى أرضه إلى موقعها اللاتق
بها.. موقع الإمامة والريادة والقيادة لأمتها العربية وحضارتها
الإسلامية.. إن شاء الله..

الدكتور
محمد زعمارة

القاهرة فى: غرة رمضان ١٤٣٢هـ.

الموافق: أغسطس ٢٠١١م.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تمهيد

كانت مصر - منذ فجر التاريخ الإنساني - منارة للتوحيد الديني . .
وللمدينة والحضارة . . ففي ربوعها، وعلى عهد آدم، - عليه السلام -
بعث الله نبيه ورسوله «إدريس» عليه السلام الذي كان ثالث الأنبياء
- بعد آدم وشيث - (١) . . ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيْسَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا
(٥٦) وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٦، ٥٧] . .!

وكما أرسى إدريس عليه السلام قواعد التوحيد الديني، بمصر - منذ
فجر التاريخ - كذلك أقام قواعد العلم والحكمة والمدينة والحضارة . .
وبعبارة «ابن جلجل» [بعد ٣٧٢هـ - ٩٨٢م]: «فلقد رسم تمدن المدن،
وجمع له طالبي العلم بكل مدينة، فعرفهم السياسة المدنية، وقرر لهم
قواعدها.. وعلمهم العلوم. وهو أول من استخرج الحكمة، وعلم النجوم،
فإن الله، عز وجل، أفهمه أسرار الفلك وتركيبه، ونقط اجتماع الكواكب فيه،
وأفهمه عدد السنين والحساب» (٢).

(١) عبد الوهاب النجار [قصص الأنبياء] ص ٢٤ - طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت.
(٢) المصدر السابق. ص ٢٥، ٢٦ - نقلاً عن [أخبار الحكماء] للقفطي. وانظر - كذلك -
(طبقات الأطباء] لابن جلجل - ص ٥، ٦ - تحقيق: فؤاد سيد - طبعة القاهرة سنة
١٩٥٥م.

فارتبط التوحيد بالمدنية والحكمة والحضارة في تاريخ مصر وتراثها منذ فجر التاريخ .

● وفي مصر، عاش عدد من الأنبياء والمرسلين، الذين جددوا عقيدة التوحيد في تاريخ المصريين القدماء .

ومن هؤلاء الأنبياء والمرسلين أبو الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام الذي جاءها في عصر الهكسوس [١٦٧٥-١٥٨٠ ق. م] . .

وكذلك يوسف عليه السلام في عهد الأسرة الخامسة عشرة التي بدأ حكمها سنة ١٦٧٥ ق. م . -وأبوه يعقوب، وبنوه -عليهم السلام- . .

كذلك، ولد ونشأ وبعث في مصر موسى عليه السلام وأخوه هارون عليه السلام (حوالي سنة ١٢٠٠ ق.م) . . وعليه نزلت التوراة بلغة مصر -الهيروغليفية- قبل نشأة العبرية .

وإلى مصر لجأ المسيح عيسى ابن مريم -مع أمه- عليهما السلام . . ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ [المؤمنون: ٥٠] .

● وإذا كان الله -سبحانه وتعالى- لحكمة بالغة- قد وصف أول أنبياء مصر -إدريس- «بالصديق» . . فكذلك كان الوصف لإبراهيم: ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا ﴾ [مريم: ٤١] . . وليوسف . . ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ ﴾ [يوسف: ٤٦] . . ولأم عيسى: ﴿ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ﴾ [المائدة: ٧٥] .

● ولقد ظل التوحيد - مع المدنية - يشعان على أرض مصر عبر تاريخها الطويل . . يتجددان فيها ليغالبا الوثنية والتخلف اللذين يأتيانها في ركاب الغزاة .

ففي ربوعها ارتفعت مناجاة «أمنحتب الثالث» [١٣٨٧-١٣٦٠ ق.م.] لله الواحد الأحد:

«أيها الموجد دون أن توجد.

مصوّر دون أن تصوّر.

هادى الملايين إلى السبل.

الخالد في آثاره التي لا يحيط بها حصر».

وفي ربوعها تجدد التوحيد مع «أمنحتب الرابع» (أخناتون) [١٣٧٠-١٣٤٩ ق.م.] الذي ناجى الواحد الأحد:

«أنت إله ، يا أوحده ، لا شبيه لك .

لقد خلقت الأرض حسبما تهوى ، أنت وحدك .

خلقتها ولا شريك لك .

أنت خالق الجرثومة في المرأة .

والذي يذراً من البذرة أناساً .

وجاعل الولد يعيش في بطن أمه .

مهدتاً إياه حتى لا يبكى.

ومرضعاً إياه فى الرحم.

وأنت معطى النفس حتى تحفظ الحياة على كل إنسان خلقته، حينما ينزل
من الرحم فى يوم ولادته، وأنت تفتح فمه دائماً،
وتمنحه ضروريات الحياة^(١).

● وعبر هذا التاريخ المصرى الطويل -تاريخ التوحيد والمدنية-
غالبت مصر العديد من التحديات:

غالبت بداوة الهكسوس . . ودمار الغزوة الفارسية التى قادها «قمبيز»
[٥٢٩- ٥٢٢ ق.م] . . والقهر الحضارى والدينى والثقافى والسياسى الذى
فرضه الغرب الإغريقى -الرومانى- البيزنطى على الشرق، مدة عشرة
قرون -من «الإسكندر الأكبر» [٣٥٦- ٣٢٤ ق.م] -فى القرن الرابع قبل
الميلاد -إلى «هرقل» [٦١٠- ٦٤١ ق.م] -فى القرن السابع للميلاد- .

● وعندما غبش الرومان -إبان هذه الغزوة- التوحيد- الذى جدده
المسيح عليه السلام. . رفعت مصر لسواء النقاء لهذا التوحيد مع أسقف
الإسكندرية «أريوس» [٢٥٦- ٣٣٦ م] - الذى أعلن:

«إن الله جوهر أزلى أحد، لم يلد ولم يولد، وكل ما سواه مخلوق، حتى
«الكلمة»، فإنها كغيرها من المخلوقات، مخلوقة من لا شىء. وأن المسيح

(١) دكتور عبد المنعم أبو بكر [أختاتون] طبعة القاهرة سنة ١٩٦١ م.

لم يكن قبل أن يولد... وأن الله قد نجاه من الصلب -الذى وقع على الشبيه...».

ولقد ظل هذا التوحيد يغالب شرك التثليث والوثنية حتى ظهر الإسلام، وجاءت الفتوحات الإسلامية [سنة ٢٠هـ - سنة ٦٤٠م] فحررت المظلومين من القهر الحضارى والدينى الذى فرضه الغرب الرومانى على الشرق لأكثر من عشرة قرون..

● ولقد شهد بهذا التحرير الإسلامى -للأوطان.. والضمان.. والعقائد.. كل الذين شهدوه، ونعموا بآثاره فى العدل والحرية والأمن والأمان.. وكل الذين درسوه، بحياد وإنصاف.. فكتب شاهد العيان، الأسقف الأرثوذكسى - أسقف «نقيوس» - «يوحنا النقيوسى»، يقول:

«إن الله، الذى يصون الحق، لم يهمل العالم، وحكم على الظالمين، ولم يرحمهم لتجرئهم عليه، وردهم إلى أيدي الإسماعيليين - [العرب المسلمين]..»

ثم نهض المسلمون وحازوا كل مدينة مصر.. وكان هرقل حزينًا.. وبسبب هزيمة الروم الذين كانوا فى مدينة مصر، وبأمر الله الذى يأخذ أرواح حكامهم.. مرض هرقل ومات..

وكان عمرو -[بن العاص]- يقوى كل يوم فى عمله، ويأخذ الضرائب التى حددها، ولم يأخذ شيئًا من مال الكنائس، ولم يرتكب شيئًا ما، سلبًا أو نهبًا، وحافظ عليها طوال الأيام.

ودخل الأنبا «بنيامين» -بطريك المصريين- مدينة الإسكندرية، بعد هربه من الروم فى العام ١٣- [أى العام الثالث عشر من تاريخ هروبه]- وسار إلى كنائسه، وزارها كلها، وكان كل الناس يقولون: هذا النفى، وانتصار الإسلام، كان بسبب ظلم هرقل الملك، وبسبب اضطهاد الأرثوذكسيين على يد البابا «كيرس»- [البطرك المعين من قبل الدولة الرومانية فى مصر]..

وهلك الروم لهذا السبب، وساد المسلمون مصر..

وخطب الأنبا «بنيامين» -فى «دير مقاريوس»- فقال:

«لقد وجدت فى الإسكندرية زمن النجاة والطمأنينة اللتين كنت أشدهما، بعد الاضطهادات والمظالم التى قام بتمثيلها المارقون..»^(١).

● ولقد جدد هذه الشهادة -بعد خمسة قرون من الفتح الإسلامى - الأسقف - ميخائيل الأكبر «Michael The Elder [١١٢٦ - ١١٩٩ م] - بطريق أنطاكية اليعقوبى - فقال:

إن إله الانتقام، الذى تفرد بالقوة والجبروت، والذى يديل دولة البشر كما يشاء، فيؤتيها من يشاء.. لما رأى شرور الروم، الذين لجئوا إلى القوة، فنهبوا كنائسنا، وسلبوا أديارنا فى كافة ممتلكاتهم، وأنزلوا بنا العقاب فى غير رحمة ولا شفقة، أرسل أبناء إسماعيل من بلاد الجنوب ليخلصنا على أيديهم من قبضة الروم.. ولما أسلمت المدن للعرب، خصص هؤلاء لكل طائفة الكنائس

(١) [تاريخ مصر ليوحنا النقيوسى: رؤية قبطية للفتح الإسلامى] ص ٢٠١، ٢٢٠ -ترجمة ودراسة: دكتور عمر صابر عبد الجليل. طبعة دار عين -القاهرة سنة ٢٠٠٠م.

التي وجدت في حوزتها.. ولم يكن كسباً هيئاً أن نتخلص من قسوة الروم وأذاهم وحنقهم وتمسهم العنيف ضدنا، وأن نجد أنفسنا في أمن وسلام..»^(١).



● ومن علماء الغرب، الذين شهدوا لتحرير الفتوحات الإسلامية أوطان الشرق وضمان شعوبه، العلامة سير توماس أرنولد [١٨٦٤-١٩٣٠م].. الذى قال:

«إنه من الحق أن نقول: إن غير المسلمين قد نعموا، بوجه الإجمال، فى ظل الحكم الإسلامى، بدرجة من التسامح لا نجد لها معادلاً فى أوربا قبل الأزمنة الحديثة.

وإن دوام الطوائف المسيحية فى وسط إسلامى يدل على أن الاضطهادات التى قاست منها بين الحين والآخر على أيدي المتزمتين والمتعصبين، كانت من صنع الظروف المحلية، أكثر مما كانت عاقبة مبادئ التعصب وعدم التسامح..»^(٢).

● والعالم الألمانى الحججة «آدم متز» [١٨٦٩ - ١٩١٧م] الذى قال:
«لقد كان النصرارى هم الذين يحكمون بلاد الإسلام!»^(٣).

(١) سير . توماس أرنولد [الدعوة إلى الإسلام] ص٧٢ ، ٧٣- ترجمة: دكتور حسن إبراهيم حسن، دكتور عبد المجيد عابدين، إسماعيل النحرارى - طبعة القاهرة سنة ١٩٧٠م.
(٢) المصدر السابق، ص٤٦١ ، ٤٦٢ .
(٣) آدم متز [الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى] ج١ ص١٠٥ . ترجمة: دكتور محمد عبد الهادى أبو ريدة - طبعة بيروت سنة ١٩٦٧م.

وكذلك، شهد على هذه الحقيقة، من نصارى مصر، فى العصر الحديث :

● المؤرخ يعقوب نخلة روفيلة [١٨٤٧ - ١٩٠٥م] - صاحب كتاب [تاريخ الأمة القبطية] - الذى كتب يقول :

«ولما ثبت قدم العرب فى مصر، شرع عمرو بن العاص فى تطمين خواطر الأهلين واستمالة قلوبهم إليه، واكتساب ثقتهم به، وتقريب سراه القوم وعقلائهم منه، وإجابة طلباتهم.

وأول شىء فعله من هذا القبيل: استدعاء «بنيامين» البطريك، الذى اختفى من أيام هرقل ملك الروم، فكتب أماناً وأرسله إلى جميع الجهات يدعو فيه البطريك للحضور، ولا خوف عليه ولا تثريب. ولما حضر، وذهب لمقابلته ليشكره على هذا الصنيع، أكرمه، وأظهر له الولاء، وأقسم له بالأمان على نفسه وعلى رعيته. وعزل البطريك الذى كان أقامه هرقل، ورد «بنيامين» إلى مركزه الأصيل معززاً مكرماً.

وكان «بنيامين» موصوفاً بالعقل والمعرفة والحكمة، حتى سماه بعضهم «بالحكيم». وقيل إن عمرو لما تحقق ذلك منه، قربه إليه، وصار يدعو به فى بعض الأوقات ويستشير به فى الأحوال المهمة المتعلقة بالبلاد وخيرها. وقد حسب الأقباط هذا الالتفات منة عظيمة وفضلاً جزيلاً لعمرو.

واستعان عمرو فى تنظيم البلاد بفضلاء القبط وعقلائهم على تنظيم حكومة عادلة تضمن راحة الأهالى، فقسم البلاد إلى أقسام يرأس كل منها

حاكم قبطى ينظر فى قضايا الناس ويحكم بينهم، ورتب مجالس ابتدائية واستئنافية مؤلفة من أعضاء ذوى نزاهة واستقامة، وعين نواباً من القبط، ومنحهم حق التداخل فى القضايا المختصة بالأقباط، والحكم فيها بمقتضى شرائعهم الدينية والأهلية. وكانوا بذلك فى نوع من الحرية والاستقلال المدنى، وهى ميزة كانوا قد جردوا منها فى أيام الدولة الرومانية..

وضرب -[عمرو بن العاص]- الخراج على البلاد بطريقة عادلة.. وجعله على أقساط، فى آجال معينة، حتى لا يتضايق أهل البلاد. وبالجملة، فإن القبط نالوا فى أيام عمرو بن العاص راحة لم يروها من أزمان..»^(١).

أى أن الفتح الإسلامى -بهذه الشهادة- قد:

- حرر الأرض والوطن.
- وحرر الضمائر والعقائد.. وكان «إنقاذاً» و«خلاصاً» للنصرانية الشرقية..
- وحرر دور العبادة -الكنائس والأديرة- وردها إلى أصحابها..
- وحرر الإنسان -وأمن الهاربين..
- وأشرك أهل مصر فى حكم البلاد، لأول مرة منذ عشرة قرون!..

(١) يعقوب نخلة [تاريخ الأمة القبطية] ص ٥٤ - ٥٧ - تقديم: دكتور جودت جبرة - طبعة مؤسسة مار مرقس لدراسة التاريخ - القاهرة سنة ٢٠٠٠م.

● وكذلك، شهد المؤرخ النصرانى المعاصر دكتور جاك تاجر [١٩١٨ - ١٩٥٢م] .. فقال:

«إن الأقباط قد استقبلوا العرب كمحررين، بعد أن ضمن لهم العرب، عند دخولهم مصر، الحرية الدينية، وخففوا عنهم الضرائب..»

ولقد ساعدت الشريعة الإسلامية الأقباط على دخولهم الإسلام وإدماجهم فى المجموعة الإسلامية، بفضل إعفائهم من الضرائب..»

أما الذين ظلوا مخلصين للمسيحية، فقد يسر لهم العرب سبل كسب العيش.. إذ وكلوا لهم أمر الإشراف على دخل الدولة...»^(١).

ذلك هو تاريخ مصر - فى التوحيد .. والمدنية-.

وتلك هى تقلباته بين قهر الغرب وتحرير الإسلام..»

وهذه بعض شهادات العلماء الأعلام -من غير المسلمين- على التحرير الذى أنجزته فتوحات الإسلام.



ولأن الإسلام قد أحيا مصر -بعد قرون من الموات والقهر الحضارى والدينى- فلقد تبوأَت مصر مكانة القيادة والإمامة والريادة فى تاريخ الإسلام. فخدمت علوم الحضارة الإسلامية فى مختلف ميادين تلك

(١) دكتور جاك [أقباط ومسلمون منذ الفتح العربى إلى عام ١٩٢٢م] ص ٣٠٩، ٣١٥ - طبعة الهيئات القبطية بالمهجر - مدينة جرسى - أمريكا - سنة ١٩٨٤م.

العلوم . . وغدت «الكنانة» التي يربط أهلها على ثغور الإسلام في مواجهة كل محاولات الغزو الغربى، التي استمرت جاهدة لإعادة اختطاف مصر والشرق من تحرير الإسلام . .

● فمصر هى التى قادت التحرير من الغزوة الصليبية -التي دامت قرنين من الزمان [٤٨٩ - ٦٩٠ هـ - ١٠٩٦ - ١٢٩١ م] . . والتي مثلت أشهر ألوان الاستعمار الاستيطاني فى التاريخ الوسيط . .

● وهى التى كسرت شوكة الغزوة التتريية [٦٥٨ هـ - ١٢٦٠ م] -التي هددت الحضارة والوجود الإسلامى .

● وهى التى تصدت للغزوة الصليبية الثانية -التي بدأت عقب إسقاط غرناطة [٨٩٧ هـ - ١٤٩٢ م] . . حتى لقد ذهب جيشها فحارب البرتغاليين على شواطئ الهند سنة ٩١٠ هـ سنة ١٥٠٤ م . .

● وهى التى ساعدت ودعمت ثورات التحرر الوطنى -ضد الاستعمار الغربى - بآسيا وإفريقيا- فى العصر الحديث . .

● وهى الصامدة -المتحينة للفرصة- بإزاء الاستعمار الاستيطاني الصهيونى على أرض فلسطين . .



ولأن هذه هى مكانة مصر -فى المواجهة التاريخية والحضارية بين الغرب والإسلام- استحققت أن تعقد لها فى كتب التاريخ الإسلامى

الأبواب التي تتحدث عن «فضائل مصر».. بل والكتب التي تؤلف تحت هذا العنوان^(١).

وهي الكتب والفصول التي رصدت ما جاء عن مصر في القرآن الكريم.. من مثل: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بَيْوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ [يونس: ٨٧]..

﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٩].

﴿اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ﴾ [البقرة: ٦١].

﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آيةً وأويناهما إلى ربوة ذات قرارٍ ومعينٍ﴾

[المؤمنون: ٥٠]..

﴿وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه﴾ [يوسف: ٢١]..

﴿ودخل المدينة على حين غفلةٍ من أهلها﴾ [القصص: ١٥].

﴿وجاء رجلٌ من أقصى المدينة يسعى﴾ [القصص: ٢٠].

﴿أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي﴾ [الزخرف: ٥١].

(١) انظر [فضائل مصر] لعمر بن محمد بن يوسف الكندي -تحقيق: إبراهيم أحمد العدوي، على محمد عمر- طبعة مكتبة وهبة- القاهرة سنة ١٩٧١م.. وكذلك ما كتبه المقرئ في الخطط- والسيوطي في حسن المحاضرة- وابن تغري بردي- في النجوم الزاهرة- والنويري- في نهاية الأرب- والقلقشندي- في صبح الأعشى- وابن سعيد- في المغرب- وابن ظهيرة- في محاسن مصر والقاهرة-.. تحت عنوان «فضائل مصر»..

﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيْونِ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَآكِهِينَ ﴾ [الدخان: ٢٥ - ٢٧].

- وغيرها من عشرات الآيات التي ورد فيها ذكر مصر بالقرآن الكريم:
● ومثل ما روى - في فضل مصر - عن رسول الله ﷺ . . من مثل قوله:
- «ستفتح عليكم بعدى مصر، فاستوصوا بقبطها خيراً، فإن لكم منهم صهراً وذمة» رواه مسلم.
- «ستفتحون أرضاً يذكر فيها القسراط، فاستوصوا بأهلها خيراً، فإن لهم ذمة ورحماً» رواه مسلم.
- «إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جنداً كثيراً، فذلك الجند خير أجناد الأرض، لأنهم فى رباط إلى يوم القيامة» رواه عمر ابن الخطاب، وأخرجه المقرئ فى [الخطط] . .
- وإذا كان المسلمون قد فتحوا - وحرروا - الشام والعراق والخليج وفارس فى عام واحد . . فلقد استغرق فتحهم - وتحريرهم - لمصر خمس سنوات! . .
- وفى تحريرها هذا شارك من صحابة رسول الله ﷺ والجيل الفريد الذين رباهم الرسول، وصنعهم على عينه - أكثر من مائة من خيار الصحابة . . منهم:
الزبير بن العوام [٢٨ق.هـ. ٣٦هـ/٥٩٦-٦٥٦م].

- والمقداد بن الأسود [٣٧ق.هـ- ٣٣هـ/٥٨٧-٦٥٣م].
وعبادة بن الصامت [٣٨ق.هـ- ٣٤هـ/٥٨٦-٦٥٤م].
وأبو الدرداء [٣٢هـ- ٦٥٢م].
وفضالة بن عبيد [٥٣هـ- ٦٧٣م].
وعقبة بن عامر [٥٨هـ- ٦٧٨م].
وأبو ذر الغفاري [٣٢هـ- ٦٥٢م].
ومحمية بن جزء الزبيدي [٢٥هـ- ٦٤٥م].
ونبيه بن صؤاب.
ورافع بن مالك [٣هـ- ٦٢٥م].
وربيعة بن شريحيل بن حسنة
وسعد بن أبي وقاص [٢٣ق.هـ- ٥٥هـ/٦٠٠-٦٦١م].
وعمر بن علقمة.
وعبد الله بن عمرو بن العاص [٧ق.هـ- ٦٥هـ/٦١٦-٦٨٤م].
وعبد الله بن عمر بن الخطاب [١٠ق.هـ- ٧٣هـ/٦١٣-٦٩٢م].
وخارجة بن حذافة [٤٠هـ- ٦٦٠م].
وعبد الله بن سعد بن أبي سرح [٣٧هـ- ٦٥٧م].
وأبو رافع -مولى رسول الله - ﷺ.

ومحمد بن مسلمة [٣٥ق.هـ-٤٣هـ/٥٨٩-٦٦٣م].
ومسلمة بن مخلد [١-٦٢هـ/٦٦٢-٦٨٢م].
وأبو أيوب الأنصاري [٥٢هـ-٦٧٢م].
ورويغ بن ثابت بن السكن الأنصاري [٥٦هـ-٦٧٦م].
وهيب بن مغفل.
وكعب بن ضنة.
ومعاوية بن حُديج [٥٢هـ-٦٧٢م].
وعمار بن ياسر [٥٧ق.هـ-٣٧هـ/٥٦٧-٦٥٧م].
وعمر بن العاص [٥٠ق.هـ-٤٣هـ/٥٧٤-٦٦٤م].
وأبو هريرة [٢١ق.هـ-٥٩هـ/٦٠٢-٦٧٩م].
وغيرهم من صحابة رسول الله ﷺ (١).



هذه هي مصر . . التي قال عنها قائد فتحها عمرو بن العاص: «إن
ولايتها جامعة، تعدل الخلافة» . .
والتي جاء في المأثورات . .
«من أرادها بسوء كبه الله على وجهه».

(١) [فضائل مصر] ص ٣٧-٤٠.

«ومن أراد أهلها بسوء صرعه الله» .

والتي قال عنها سفيان بن عيينة [١٠٧-١٩٨هـ/٧٢٥-٨١٤م]:

«إنها كنانة الله، يحمل فيها خير سهامه»^(١).

والتي صدق التاريخ على معاني هذه الأحاديث والمأثورات التي قيلت فيها. . . فكانت -عبر تاريخ الإسلام- مقبرة الغزاة والإمبراطوريات الاستعمارية. . . لأن أهلها -كما قال رسول الله ﷺ: «في رباط إلى يوم القيامة»..» .



ولأن هذا هو تاريخ مصر -في التوحيد الديني. . . وفي المدينة والحضارة- . . . وتلك هي مكانتها في الإسلام. . . وفي مواجهة التحديات الصليبية والصهيونية. . . كان التآمر عليها. . .

● فالصليبيون اعتبروا السيطرة عليها الشرط الضروري لاحتلالهم للقدس الشريف! . . .

● وجمال الدين الأفغانى [١٢٥٤ - ١٣١٤هـ/١٨٣٨-١٨٩٧م] سماها: «بوابة الحرمين الشريفين»! . . .

● والمنظمة الصهيونية العالمية اعتبرت تفتيتها شرطاً لتفتيت كل وطن العروبة وعالم الإسلام، فقالت: «إذا تفتتت مصر تفتتت الباقون»! . . .

(١) [فضائل مصر]. ص ٤٥، ٤٦، ٤٩.

ولتحقيق هذه المقاصد المعادية، أعلن الأعداء عليها الحرب . .
لا بالغزو الخارجي فقط -فهي قد تمست على مواجهته- . . وإنما
-أيضاً- بغواية الأقليات فيها -وفي محيطها العربي والإسلامي -لتصبح
بين «المطرقة» و«السندان» . . مطرقة التحديات الخارجية . . وسندان
زعزعة الاستقرار في جبهتها الوطنية الداخلية! . .

ولكشف هذا المخطط -منذ مطلع عصرنا الحديث- نقدم هذه
الدراسة، التي تحملها صفحات هذا الكتاب . .

سائلين المولى -سبحانه وتعالى- أن تكون «نداء» يوقظ الأمة، لترى
حقائق هذا الكيد الماكر الذي يكيد الأعداء . . الداخليون والخارجيون -
لمصر . . والعروبة . . والإسلام . .

الدكتور
مُحَمَّد عَمَّار

القاهرة في: رمضان سنة ١٤٢٩هـ

الموافق: سبتمبر سنة ٢٠٠٨م

